



إن الأحداث في سوريا تسير بشكل سريع ومتسرع، حيث أن المراقب للتغيرات يحتاج أن يرصدها كل ساعة وليس كل يوم. إن العوامل الأساسية التي يجب أن تُرصد لتساعدنا على توقع المستقبل السوري هي ما يلي:

- تطور الخطاب الغربي والأوروبي والأمريكي الموجه للنظام السوري.
- تطورات الثورة على أرض الواقع، وارتفاع أو انخفاض سقف مطالبه.
- تطورات المعارضة (الداخلية والخارجية)، ومدى توافقها مع الثورة.
- دور إيران وأهمية بقاء النظام السوري في الحكم بالنسبة لها.

إن هذه العوامل هي المؤشرات المباشرة على مستقبل سوريا، لذلك سأحاول من خلال عرضي أن أركز على مسيرة هذه العوامل منذ بدء الثورة وحتى تاريخ هذا المقال، وسأبدأ كما يلي:

العامل الأول: تطور الخطاب الغربي والأوروبي والأمريكي الموجه للنظام السوري.
وفيه العناصر التالية:

ـ مقارنة بين مواقفهم اتجاه الثورات السابقة والقائمة:

إن المراقب لمواقف الغرب وأمريكا لثورة تونس ومصر ولبيبا واليمن، مقارنة مع الثورة في سوريا، يجد ما يلي:

* توجيه الخطاب مباشرة لرأس الأنظمة في تلك الثورات، بينما بدأ بأسفل النظام بالنسبة لسوريا، وهذا له دلالات واضحة على دعمهم لرأس النظام في سوريا.

* التوجيه للدول العربية لاتخاذ مواقف واضحة من هذه الأنظمة، وعدم السماح لهذه الأنظمة بإبداء الرأي بشكل عام في مسألة الثورة السورية، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية سوريا وأهمية المحافظة على النظام السوري، وعلى رغبتهما بحل المسألة السورية بأنفسهم وعلى طريقتهم.

* التصاعد المستمر في الخطابات الموجهة للثورات السابقة والقائمة، بينما التذبذب في تلك الخطابات الموجهة للنظام السوري، وحتى الآن يطالبون الرئيس السوري في عمل الإصلاحات الالزامية للوصول إلى الديمقراطية المنشودة، مع الطلب باستحياء بإيقاف إراقة الدم في الشارع السوري.

في ختام هذه النقطة، أقول هذا التباين بالمواقف الأمريكية والغربية، لهو الدليل القاطع على رغبتهما الكبيرة في الإبقاء على

النظام السوري، أو على الأقل المحافظة على الرئيس السوري، ومساعدته في الانتصار على من حوله من رموز الفساد، وهذا مؤشر خطير، يدل على مدى الكذبة الكبيرة التي مارسها النظام على شعبه، بأنه دولة ممانعة ومقاومة، فلو كانت كذلك لوجدت الغرب سرعان ما يدعم تلك الثورة لإسقاط هذا النظام المممان.. المقاوم، على حد زعمهم، ولكننا نفاجأ بدعم قوي للنظام عوضاً على توجيهه الدعم للثورة، ولعلي أقتبس هنا خبرين متناقضين مع بعضهما البعض، مما يدحض وبشكل قوي قصة الممانعة والمقاومة: "حيث أذاعت إحدى الجرائد الأمريكية بأن الرئيس السوري، بعث لأمريكا استعداده لتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل الآن، وبعد ساعات قليلة، تصريح لوزيرة الخارجية الأمريكية، تقول فيه: بأن الإصلاحات التي قام بها الرئيس الأسد، لم يقم بها أحد من الرؤساء العرب، وأن واشنطن تثمن هذه الخطوات". فيا عجبي!! وبعد هذا من يقول بأن سوريا دولة ممانعة أو مقاومة.

ـ لماذا لم نقل هنا الخطاب العربي، كحال الثورات السابقة:

* لكل عربي أن يتتسائل أين الموقف العربي من أحداث سوريا، بينما وجدناه واضحاً في حال ليبيا، ووجدناه مع استحياء فيما يخص مصر، وتونس، ومتفاماً بشدة في حال اليمن، بينما لم نسمع صوته في حال سوريا، حقيقة لماذا؟ وبقوة وبصوت عال لماذا؟

* هل أمريكا منعهم من التدخل، أم كما يقال الخوف من النظام السوري، وعمليات اغتياله التي يهدد بها كل من يقف في وجهه؟ أنا لا أصدق هذا السبب، إنني ضد نظرية المؤامرة التي ينظر البعض من خلالها إلى كل ما يدور حوله، ولكنني أيضاً لست مع من لا ينظر من خلالها البتة.

في ختام هذه النقطة أرى أن الدول العربية تنظر للموضوع من خلال عيون أمريكا والغرب، فإذا وجدت أنها أمريكا والغرب ت يريد إسقاط النظام بدأت بالتحرك، وإن أحسست أن أمريكا لم تجزم أمرها، وقفـت بالحياد، وهي مواقف سياسية بحتة، وإنـماـ كما أنـ كـافـةـ دولـ الـخـلـيـجـ اـكتـوتـ مـنـ الـنـظـامـ الـلـيـبـيـ،ـ فـهـيـ أـيـضـاـ اـكتـوتـ مـنـ نـارـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ،ـ الدـاعـمـ لـإـرـانـ وـالـتـيـ سـنـأـيـ:ـ عـلـىـ دـوـرـهـ فـيـ الـأـحـدـاتـ لـاحـقاـ،ـ وـعـبـهـ فـيـ الـعـرـاقـ وـفـيـ لـبـانـ،ـ وـقـتـ الـحـلـيـفـ الـقـوـيـ لـلـسـعـودـيـ رـفـيقـ الـحـرـيرـيـ،ـ لـذـلـكـ أـتـسـأـلـ:ـ مـتـىـ يـكـونـ لـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ مـوـاـقـفـ سـيـادـيـةـ وـقـرـارـاتـ مـتـصـلـةـ بـمـصـالـحـهـ،ـ وـخـاصـهـ؟ـ أـقـصـدـ بـكـلامـيـ هـذـاـ دـوـلـ الـخـلـيـجـ بـشـكـلـ عـامـ وـالـسـعـودـيـةـ بـشـكـلـ خـاصـ،ـ إـنـ سـقـوـطـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ،ـ هـوـ نـصـرـ لـكـمـ أـيـهـاـ الـخـلـيـجـ،ـ حـيـثـ بـسـقـوـطـهـ يـسـقـطـ الـذـرـاعـ الـقـوـيـ الـدـاعـمـ لـلـتـوـاجـدـ إـلـيـرـانـيـ الصـفـوـيـ الـذـيـ يـهـدـدـكـمـ،ـ وـيـهـدـدـ أـمـنـ أـوـطـانـكـمـ،ـ وـقـدـ رـأـيـتـ مـاـ حـدـثـ فـيـ الـبـرـيـنـ،ـ لـذـلـكـ أـقـولـ:ـ إـنـ لـمـ يـتـحـركـ الـخـلـيـجـ نـحـوـ دـعـمـ الـثـورـةـ السـوـرـيـةـ الـيـوـمـ،ـ فـسـيـقـوـلـ الـمـقـوـلـةـ الـمـعـرـوـفـةـ:ـ (ـلـقـدـ أـكـلـتـ يـوـمـ أـكـلـ الـثـورـ الأـسـوـدــ).

ـ مدى تأثير الخطاب العربي الأمريكي والأوروبي بالثورة:

* أنا لا أعتقد أن الخطاب الغربي يتتأثر بما يحدث على أرض الواقع إلا في حال وجد بديل عن النظام السوري يتنازع مع سياستهم في المنطقة، ويتوافق معهم في عملية السلام، والحفاظ على الحدود مع دولة صهيون المحتلة بأمان وسلام، كما فعل النظام السوري خلال أربعة عقود.

* موافقة إيران على هذا البديل، والحقيقة لن يأتي بديل مثل النظام السوري داعماً لها، حيث كانت سوريا هي واحدة من محافظات إيران، وأنا أرى أن أفلام هوليوود المكررة المملة عن العداء بين إيران والغرب، أصبح مكتشفاً بعدها تبين نوعية العداء بين النظام السوري وإسرائيل.

العامل الثاني: تطورات الثورة على أرض الواقع، وارتفاع أو انخفاض سقف مطالبتها:

من أهم العوامل المؤثرة في وضع سيناريوهات المستقبل السوري تطورات الثورة على الواقع، والراصد لذلك يرى أن الثورة في تصاعد أفقى وعمودي مستمر، فهي تزداد تعداداً ومناطقياً حيث بدأت في درعا، والآن زاد عدد المناطق حتى زادت عن أكثر من 30 منطقة ثائرة في وجه الظلم، وتزداد حدة مطالبتها من الإصلاح إلى إسقاط النظام.

إن الشعب السوري أجبرنا جميعاً أعداءً وأصدقاءً أن نقف له وقفه إكبار وإجلال، فقد أثبتت للعالم أجمع بأنه شعب لا يموت، مهما وصلت آلة القمع والظلم والتعذيب فسيبقى الشعب هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، هو صاحب القرار، وقد قرر الشعب السوري وأجمع أمره، ولن يرجع عن قراره إلا بعد إسقاط النظام بكل أركانه، ابتداءً من الرئيس وحتى آخر منافق في هذا النظام.

العامل الثالث: تطورات المعارضة (الداخلية والخارجية)، ومدى توافقها مع الثورة:

إن المعارضة الخارجية والداخلية كانت موجودة قبل الثورة، تحاول أن تحصل على مكاسب من النظام لأجل التغيير، أي أنها كانت تريد التغيير عبر النظام وليس بإسقاط النظام، ولم يكن يخطر ببالها أن هناك من سينادي بإسقاط النظام، ولكن لا شك أن المعارضة بدأت تستمد قوتها من الثورة، فظهرت بشكل أكبر على كافة وسائل الإعلام، وأصبحت توجه التهم بكل صراحة ووضوح إلى النظام واتهامه بكل الجرائم التي قام بها سابقاً والتي يقوم بها حالياً على الشعب السوري الأعزل، لذلك فإن المعارضة تنقسم حسب توجهاتها إلى:

- معارضة مستمرة بطريقها في طلب التغيير عبر النظام، وترفض ما يحدث، وتحاول أن تتسلق على الثورة، وتفشلها.
- معارضة تريد أن تستفيد من الثورة للانتقام من النظام وإسقاطه، دون أن يكون لها أجندية سياسية محددة، وهي وبالتالي مستعدة للتعاون مع الشيطان، للوصول إلى هدفها.
- معارضة تنظر للوضع في سوريا نظرة سياسية بحثة، أي هي تنظر من خلال القوى العالمية المحيطة بالمنطقة، وبالتالي هي تبحث عن احتياجات المرحلة بالنسبة لأمريكا والغرب، وتسعى لتحقيقها مستفيدة طبعاً من الثورة، وليس مفيدة للثورة، إلا ما حدث من تقاطع المصالح، وهي تؤمن بأهمية دور الغرب في إسقاط النظام، فهي متوازنة ومنسجمة مع أجندتها.
- معارضة تكونت باسم الثورة ومن رحم الثورة ولأجل الثورة، وهي لم يكن لها تواجد إعلامي قبل ذلك، وهي أغلبية المستقلين خارج وداخل الوطن، وهم لا يساندهم سوى الله - عز وجل - وكفاهم ذلك، وهم يسعون لانتقاء المعارضين الشرفاء، ويسعون لدعمهم.

في ختام هذه النقطة، أضم صوتي لصوت عميد المحاميين السوريين الدكتور/ هيثم المالح - فرج الله عنه - أن أي صفة قانونية للمعارضة يجب أن تنطلق من الداخل ابتداءً، ثم يتبعها الخارج، وهذا يعني أن المعارضين يجب أن يفهموا أن لا وجود لهم إلا من خلال الثورة، وأنهم يعودون كما كانوا قبل الثورة إن لم يصبحوا تبعاً للثورة، ولا يريدهم مع الثورة، بل هم تابعين للثورة يحقّقون مطالبهم، يتكلمون من أجلهم، يأتّرون بأمرهم، وعندما سيكون للمعارضة فائدة مرجوة.

العامل الرابع: دور إيران وأهمية بقاء النظام السوري في الحكم بالنسبة لها:

إن من العوامل التي تؤثر في مستقبل سوريا هو الدور الخبيث للدولة الصفوية الداعم للنظام السوري، بكل ما أوتي من قوة، فهو اليد اليمنى للمشروع الشيعي في المنطقة ككل، وهو العقل المدبر واليد المنفذة لمشروع التشيع في سوريا، فكيف سيكون موقف إيران من الأحداث المبني على تطورات الموقف الغربي منه.

حقيقة لا أملك تصور واضح أستطيع أن أجسم من خلاله كيف سيكون موقف إيران إذا ما قررت أمريكا فعلياً إسقاط النظام السوري بعد أن تكون وجدت لها بديل من المعارضة يتواافق مع أجندتها في المنطقة، وإن كنت أعتقد أن أمريكا ستجد لها مقاومة مع إيران في حال نظرت أمريكا للنظام أنه فقد شرعنته، ولا أدرى هل ستكون البحرين، أم هناك المزيد من السيطرة على العراق المسلوبة، لا أدرى، ولكن الأكيد أن إيران لن ترفض ولن تواجه أمريكا في حال قررت إسقاط نظام.

إخواني ثوار سوريا الأحرار:

أولاً: إن كل ما تقدم هي عوامل مادية قد تؤثر في مجريات الأحداث في سوريا، وإنه من الطبيعي أن أعداء الوطن والدين،

سيبذلون كل الجهد من أجل تحقيق مصالحهم في المنطقة، ولكن الحقيقة تكمن فيكم، وفي إصراركم، وفي صبركم، وفي قوتكم، وفي ارتباطكم بحالكم، وفي استمراركم، فهي المحدد الرئيس والأول لكل ما سبق من عوامل مؤثرة في مستقبل سوريا.

ثانياً: هناك متصرف بمستقبل الثورة أهم من كل ما ذكر، بل هو المتصرف الوحيد وله القرار النهائي في المسألة، هو الله - سبحانه وتعالى -، يقول الله - تعالى -: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}، ويقول - تعالى -: {إِنَّ رَبَّكَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَمِّنُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}، الله هو مسبب الأسباب، والله وعد الصابرين بالنصر، وأننا عندما عرضت ما عرضته في مقالاتي هذه إنما هو لفهم الواقع، ومعرفة ما يدور حولنا، ومعرفة من معنا على خطنا وعلى منهجنا وينطلق من خلالنا، ومن ضدنا ويلعب علينا ويمكر فينا ويخذلنا ويتسلق علينا.

في الختام: إن السيناريو الذي أتوقعه بعد عرض العوامل المادية الكثيرة المؤثرة في نجاحات الثورة، وبعيداً عن العواطف وليس بعيداً عن التفاؤل وحسن الظن بالله، أقول إن السيناريو الذي أتوقعه والمنتظر لمستقبل سوريا هو نجاح الثورة، نعم نجاح الثورة وتحقيق كافة الأهداف التي قامت من أجلها، فسوف يسقط النظام بكل مؤسساته العسكرية والسياسية والمدنية، لن تستطيع إيران أن تحمي هذا النظام مهما بذلت من جهد، لن يستطيع حزب الالات والعزى إنقاذ هذا النظام من السقوط، سيسقط النظام، ويولون الدبر، ولن يكون هناك - بإذن الله (تحقيقاً لا تعليقاً) - مكاناً للمعارضين المخذلين، والمتآمرين، والأثانيين، وسيكون هناك مكان لكل شريف أمين يحب وطنه، ويبذل الغالي والنفيس لخدمته.

نعم ستعود الحرية لسوريا، سيعود الأمان للمواطن السوري البطل، ستعود سوريا لقيادة الأمة العربية، سيقول الشعب

السوري كلمته:

سقط النظام... سقط النظام... سقط النظام.

المصادر: